

السياسة الدينية الفرنسية وتأثيرها على المجتمع الجزائري من خلال كتاب شارل روبير اجيرون
الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871م-1919م

French religious policy and its impact on Algerian society
through the book by Charles Robert Aguiron
The Muslim Algerians and France 1871-1919

د. لطرش حنان

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية

ملخص:

لا ريب ان الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير انما هو القضاء على الأديان غير نصرانية تبعا لاستعباد اتباعها ، لذلك فقد كان للجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر عام 1830م ، وقد حاولت فرنسا منذ احتلالها للجزائر فرض سلطتها بأساليب مختلفة سواء اجتماعية أو ثقافية واقتصادية من خلال إصدارها لمختلف القرارات ؛ خاصة وان الاستعمار الفرنسي هو استعمار ليبرالي بالأساس وذلك من خلال ممارسة الإبادة وطرد الشعوب والتعامل معهم بازدراء على أساس أنهم عبيد أو مواطنين من الدرجة الثانية ، وذلك من خلال إصدار مراسيم وقرارات لمحاربة الدين الإسلامي باعتبار التعليم والدين هما وسيلة لبث الروح الوطنية وتحصين الناشئة ضد أي غزو معنوي أو فكري وقد كتب الكثير من المؤرخين الأوروبيين خاصة الفرنسيين عن واقع الاحتلال الفرنسي للجزائر وعبروا عنه وفق ايدولوجيات مختلفة منهم شارل روبير أجيرون حيث ترك هذا الأخير أعمالا تاريخية جلييلة، تشهد له بالكفاءة العالية والروح العلمية النزيهة التي طبعت جل كتاباته عن تاريخ الجزائر المعاصر، وكتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا ، حيث كتب عن الاحتلال الفرنسي بكل موضوعية معتمدا على استنطاق الوثائق والأرشيف،

الكلمات المفتاحية:

السياسة الاستعمارية، السياسة الدينية الفرنسية، اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا

summary

There is no doubt that the real and first motive in the opinion of those in charge of evangelization is the elimination of non-Christian religions according to the enslavement of their followers, so the religious aspect had a great impact on the occupation of Algeria in 1830, and France has tried since its occupation of Algeria to impose its authority in different ways, whether social, cultural and economic through the issuance of various decisions, especially since French colonialism is basically liberal colonialism through the practice of genocide and the expulsion of peoples and dealing with them with contempt on the basis that they are Slaves or second-class citizens, through

Keywords

Colonial Policy, French Religious Policy, Ageron, Muslim Algerians and France

مقدمة :

مند أن وطأت السلطات الاستعمارية الجزائر وهي تعمل على تنفيذ سياستها في استعمار الجزائر أرضا وشعبا وذلك من خلال طمس هوية المجتمع الجزائري المتمثلة في الدين واللغة والتاريخ، فقد حاربت فرنسا الدين الإسلامي مند بداية الاحتلال، وهي لم تسمح إلا للاكليكوس الرسمي بممارسته في المساجد خدمتا لمصالحهم، حيث طبقت سياسة دينية صارمة حاولت من خلالها تضيق الخناق على الدين الرسمي للجزائريين باعتباره الخطر الأكبر الذي يهدد وجودها وذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات

وذلك من خلال الحديث عن بعض الكتابات منهم كتابات شارل روبير اجيرون الذي يعد من ابرز الكتاب الفرنسيين عن الاحتلال الفرنسي والذي امتاز بكتابه العلمية فجاءت نتيجتها مدينة للاستعمار بشدة وقد جلبت كتاباته سخط المعمرين والأقدام السوداء الفارين من الجزائر، بسبب تحديده للإيديولوجية الاستعمارية، فحاصروه في الجامعات الفرنسية بما يملكونه من نفوذ وضغوط، حتى صار معزولا عن النشاطات العلمية، فقلّ إشرافه على طلبة الدراسات المعمقة، مثلما ذكر تلميذه بينجامه ستوره Benjamin Stora وعليه لم ينل من التكريم إلا النزر اليسير، فكان عليه انتظار حلول انعقاد الملتقى الدولي سنة 2000 في جامعة السربون، لينال حظه من التكريم، بحضور عدد كبير من المؤرخين الأجانب.

ومنه يمكننا التساؤل عن حقيقة شارل روبيراجيرون و موقفه من الاحتلال الفرنسي؟ وكيف فسر اجيرون السياسة الدينية من خلال كتابه الجزائريون المسلمون وفرنسا؟ ونجيب على هذه الإشكالية في مداخلتنا من خلال العناصر التالية:

- 1- حول مسيرة روبير اجيرون
- 2- التعريف بأهم كتاباته
- 3- أهمية كتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا
- 4- السياسة الدينية من خلال كتاب "الجزائريون المسلمون واروبا "

4- خاتمة

أولا- مولده شارل روبير اجيرون:

ولد المؤرخ شارل روبير اجيرون عام 1923، في مدينة ليون بفرنسا درس التاريخ، وتمتعينها عام 1947 في ثانوية تيوفيلغوتيبال الواقعة في الجزائر، بعد عودته الى باريس عين أستاذ في ثانوية لاكانالدوسو، (La kanal de Sceaux) قرب باريس سنة 1957م، ثم أستاذ مساعد بجامعة السربون سنة 1961، وهناك احتكبا لأستاذ الداء الصيت شارل اندري جوليان، 1898-1991م، المختص في تاريخ المغرب الكبير، فأشرف عليه لنيل شهادة الدكتوراه الموسومة ب (الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919) التي نشرت سنة 1968 م. وعقب ذلك كعتمد مدرساً محاضراً ثم أستاذاً محاضراً في جامعة (تور Tours) من سنة 1969 إلى سنة 1981 م، لينتقل بعدها إلى جامعة باريس، كما رأس المؤسسة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحر، والمجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحر¹.

وانسحب خلال السنوات الأخيرة بسبب مرضه، ألف الكثير من الكتب التي تتناول الحقبة الاستعمارية لفرنسا، وخصوصاً فترة احتلالها للجزائر.

ثانيا- من أهم مؤلفات شارل روبير اجيرون: الجزائريون المسلمون بفرنسا، حكومة الجنرال برتوزان بالجزائر (التي حكمت في

عام 1831، السياسات الاستعمارية في المغرب العربي، مناهضة الاستعمار في فرنسا منذ 1871 - 1914 فرنسا الاستعمارية أو حزباً استعماري .

وكتاب (تاريخ الجزائر المعاصرة 1830 — 1976)، الذي ترجمه ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، بقلم عيسى عصفور، وصدرت طبعته الثانية سنة 1982م. أما مقالاته العديدة (حوالي 120 مقالة) فقد جمعت ونشرت في كتابين: (من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية، وتكون الجزائر جزائرية). (Genèse de L'Algérie algérienne) / .

¹- أنظر: فارل روبير آجرون: الجزائريون المسلمون بفرنسا (1871-1919 مترجمة محمد حاج مسعود د/ بكلي الطبعة الأولى دار للكتاب الجزائر 2007 وكذلك

هذا وتجدر الإشارة إلى أن دار بوشن للنشر قد قامت بإعادة نشر أعماله في مجموعة واحدة خمسة أجزاء سنة 2005، بمقدمة من وضع تلميذه جيلبير ماينيير (Gilbert Meynier)، أشار فيها إلى أن أستاذه كان يذكره دائما، أن مهمة المؤرخ تقتضي تجاوز لبوس الإيديولوجية.

وفي عام 2000 نظمت ملتقى جامعة السوربون الفرنسية ضم عشر أئمة مؤرخين من جميع أنحاء العالم، حينئذ حضره المستوطنون العلميون والفكر المنهجيون الثابتا الرأي الذين تمتع بها جيرون .، توفيقوم 3 سبتمبر 2008¹، في الخامسة والثمانين من عمره و بعد أن أقعده المرض في السنوات الأخيرة، وجعله ينقطع عن العمل، وقد خسرت الجزائر بوفاته برأي الدكتور محمد قورصو مؤرخا صديقا دأب على زيارة جامعاتها، والتعاطف معها في أوقات الشدة، آخرها محنة الإرهاب التي عصفت بنا، لذلك - يضيف فهو يستحق التكريم، علما أنه أشرف على بعض الطلبة الجزائريين في أبحاثهم ودراساتهم العليا، منهم عبد الحميد زوزو.

أمافيما يخص أعمالها الفكرية فقد تميزت بالروح العلمية، والاعتماد على المادة الأولية الضرورية للمؤرخ، والمتمثلة في الأرشيف والوثائق، التياطلع عليها الكثير منها سواء في الجزائر أو فرنسا .

ثالثا- أهمية كتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا:

كتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919) الذي اعتبرها المختصون وعلم مرجعها السياسة الجمهورية الثالثة، التي كرسها ليدولوجية الاستعمارية . وصورة صادقة لصراع الذايدار بين المجتمع المسلم الجزائري، وبهينا المستوطنين المدعو مينبا لإدارة الفرنسية، التي وظفت أدوات

عديدة لتدمير تنظيمات الجزائريين الاجتماعية، ولتشديد الخناق على الإسلام منظرية تعطيل القضاء الإسلاميو تشجيع التنصير، وتخريب مؤسساتها التعليمية، وتخريب مؤسساتها التعليمية، وقهر الجزائريين بقانون الأهاليو المحاكم القومية².

¹-Hommage à Charle-Robert Ageron.sur: www.bouchene.com

²أنظر: شارل روبرت أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919 مترجمة محمد حاج مسعود د./بلكي الطبعة الأولى دار للكتاب الجزائر 2007 وكذلك

هذا و قد اعتبر المختصون هذا الكتاب عملا مرجعيا لسياسة الجمهورية الثالثة، التي كرسّت الإيديولوجية الاستعمارية، المفوّضة لأركان وتنظيمات المجتمع الجزائري المسلم، من خلال القوانين والقرارات المجحفة، التي مست مجالات العقار، والضرائب، واستغلال الغابات، وقانون الأهالي، فأقصت الجزائريين من المواطنة الفرنسية، وأنزلتهم إلى درجة العبيد وهم في عقر دارهم. هذا و اعتبر المختصون كتاب اجيرون عملا مرجعا هذا وقد نوّه الدكتور محفوظ قداش بموضوعية هذا العمل ونزاهته وخلوّه من الشحنة الإيديولوجية أو مسحة التملق، الأمر الذي أضفى عليه المصداقة. واعتبره صورة صادقة للصراع الذي دار بين المجتمع المسلم الجزائري، وبين المستوطنين المدعّمين بالإدارة الفرنسية، التي وظفت أدوات عديدة للقضاء ولتشديد الخناق على الاسلام عن طريق تعطيل القضاء الإسلامي وتشجيع التنصير، وتخريب مؤسساتهم التعليمية، وقهر الجزائريين .

واعتبارا لأهمية هذا الكتاب فقد قام المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954م، التابع لوزارة المجاهدين، بترجمته ونشره سنة 2007م وتكمن أهمية كتاب شارل رويبر أجيرون — في نقطتين هامتين، تتمثل الأولى في كونه صورة موثقة لوقائع الصراع بين الكولونيالية الاستيطانية والمقاومة الشعبية الجزائرية، بأشكالها الجماعية والفردية، و النقطة الثانية تتمثل في وجهة نظر الطرف المقابل، و يعطي لنا الصورة الحقيقية لسياسة الفرنسية الاستعمارية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية وكذلك الدينية للقضاء على ثوابت وهوية المجتمع الجزائري، وقد تجند العسكريون والسياسيون لإنجاز هذا المشروع الإجرامي.

ثالثا - السياسة الدينية من خلال كتابشارل رويبر اجيرون "الجزائريون المسلمون وفرنسا":

تحدث اجيرون في الجزء الأول من كتابه في الفصل الحادي عشر عن السياسة الدينية من 1871-1891م حيث خصه عن الحديث عن السياسة الدينية خلال الجمهورية الثالثة اتجاه الدين الإسلامي في الجزائر حيث أكد ان الاهتمام بشؤون العبادة بهذه الفترة ضئيل لان هذه الفترة تميزت بالحرب التي أعلنها الجمهوريين ضد نظم الكنيسة؛وقد تمثلت سياسة الدولة في الاعتراف

بالديانة الإسلامية إضافة الى دفع أجور القائمين عليها مع مراقبة وتعيين علماء الدين و كذلك الى اشرافها على أمور الحج.

وفي كثير من الأحيان كانت تستعمل أسلوب العنف ضد المؤسسات الدينية كغلقها لبعض لزاويا ،وتعليق مهام بعض الشخصيات الدينية أو حبسها دون الاستناد الى منطق معين وفي بعض الأحيان تكون قراراتها متناقضة .

من بين النقاط التي فصل فيها اجيرون السياسة الدينية قبل 1870م:

يؤكد اجيرون ان موقف فرنسا اتجاه الدين الإسلامي ظل يستند الى معاهدة دبيرمون حيث وعد باحترام الديانة الإسلامية وان هذه المعاهدة ظلت حاضرة في أدهان الجزائريين المسلمين

وقد تمثلت السياسة الفرنسية في الفصل الجذري بين ما هو روحي وماهو دنيوي والحرص على الفصل بينهما وهذا ما لم يتقبله المسلمون ويفهمونه مثل، التمييز بين المدرسة والمسجد وفك الارتباط بين الديانة والعدالة ومباشرة السلطة اللائكية واشرفها على السلطة الدينية¹.

-ففي حقيقة الامر ان السياسة الدينية الفرنسية كانت تتعارض بكيفية سلبية مع حرية الممارسة الدينية ، كما أكد اجيرون انه يصعب تقدير عصبية المسلمين الدينية في تلك الفترة لعدم وجود تقارير يعتمد عليها الباحث سواء من طرف ضباط المكاتب او اسهامات الإداريين زحتى المسلمون أنفسهم يصعب معرفة ارائهم ويعتمد المؤرخ فقط على الأفكار التي تناقلها الاروبيون عن الديانة الإسلامية وعن الممارسات الدينية².

كما اكد اجيرون ان ان الرأي الشائع نهاية الحكم الامبراطوري هو "ان مسلمي الاجزائر مرتبطون بالإسلام بشكل قوي" و"انهم واقعون تحت سحره" والواقع ان هناك شهادات عكس ذلك حيث صرح بعض الملاحظين بان "عبادة الإباء والاجداد" كما لاحظ البعض الاخر ان اسلام بعض

¹-شارل روبيير اجيرون،الجزائريون المسلمون وفرنسا ، ترجمة حاج مسعود ، ج1،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007،ص 540،

²-شارل روبيير اجيرون ،نفسه،ص542

البسطاء في الجزائر ينصب على قدسية بعض الشخصيات المحلية "أهل الخير" الأحياء والدين يلقبون ب"المرابو" وان تقديس أولياء الله لا يقل كفر عن غيره في نظر السلفية الإسلامية كما امن البعض بإمكانية انشقاق الإسلام الجزائري حيث امن بعض الضباط " بعدم وجود تعصب عميق لدى البربر " وقد يعود السبب لعدم توفرهم غعلى مساجد في قراهم وان معظمهم كان جاهلا ويفضل الأعراف المحلية على القانون القراني ، كما ذهب بعض الملاحظين الى "التحدث عن اهمال الممارسات الدينية لدى المدنيين" فلا باست أكد أنه دائرة تنس التي تبلغ تعداد سكانها 16.000 مع هذا يمكن ملاحظة و حساب المصلين من الناس¹

- وقد روى اجيرون ما قاله لاباست عن وضعية الإسلام في الجزائر سنة 1857م فمن النادر ان نجد مسلما من بين سكان الريف من يسرد الصلوات المفروضة وتقتصر على صيام الشهر رمضان والمتقفون منهم يقوم بتميرير حبات السبحة وهو يردد الله أكبر الله غفور رحيم " وحسب اجيرون فهذه الشهادات تساعد على معرفة ذهنية الضباط من الإسلام في الجزائر وهي كفيلة بتحديد موقف الفرنسيين والمتمثل في "التوقف عن تشجيع التوجه الإسلامي ولا جدوى او ضرورة من بناء مساجد جديدة" و ان أكثر ما يولونه اهتمام هو تشجيع هؤلاء المسلمين لمخالفة تعاليم دينهم كشراب الخمر من طرف المسلمين او الجهل بأكل رمضان وهذا هو الأقرب للحضارة حسب رأيهم².

-أما عن المستوطنين فوضح اجيرون ان موقفهم من الإسلام في الجزائر تمثل في معارضتهم للقرارات والتنازلات حسب رأيهم التي كانت تقدم لصالح الديانة المحمدية وأيضا تأدية الحج بمصاريف الدولة حسب اعتقادهم اضافة الى رفضهم لتشجيع الاجتماعات الدينية من طرف السلطة الفرنسية .

1-نفسه، ص 543

2-نفسه، ص 544

وقد أوضح اجيرون انه في حقيقة الامر لم تكن السياسة الرسمية تشجع الإسلام كما يتوهم أساقفة افريقيا¹ وذلك للأسباب التالية:

-محاولة فرنسا تنظيم الديانة الإسلامية للقرار الوزاري يوم 30 أبريل 1851م ثم تلتها عدة منشورات ففي ماي 1851م تم إحصاء عدد المساجد والكنائس وتصنيفها الى أربع طبقات كما تم تحديد عدد أجور القائمين عليها بالعبادة والمستخدمين، إضافة الى انشاء سلك رسمي من علماء الدين المسلمين كما حاولوا وضع نظام مستلهم من التنظيم التقليدي التركي بدءاً من القاعدة (السفلى) الحزابون -باش حزاب- مؤذن- باش مؤذن، الفئة العليا وتتشكل من الائمة -الخطباء - المفتين (المالكيين والحنفيين).

مع هذا يؤكد اجيرون ان اهتمامات السلطة الفرنسية بالعلماء الذين الرسميين ضئيل ولا يستحق مخاوف وتحذيرات المحافظين الكاثوليك².

*موقف فرنسا من المؤسسات الدينية :

وضح اجيرون انه تم بناء 5 مساجد في المذن الجزائرية من 1830-1860م غير ان هذا الرقم في حقيقة الامر لا يعوض ما هدموه عام 1830م فقد كانت تضم 31 مسجد جامع و109 مسجد صغير و32 مصلى و12 زاوية وفي سنة 1862م لم يبق منها سوى 9 مساجد كبيرة و19 صغيرة و15 مصلى و5 زوايا وهذا يبين مدا التدمير الذي تعرضت له المؤسسات الدينية ، ويظهر ذلك من خلال التصريح الإدارة نفسها سنة 1860 فيما يخص مؤسسات مجموع التراب الوطني "بانه نظرا لكون البنايات المخصصة للعبادة كثيرة جدا منذ زمن الاحتلال فمن المستحيل التفكير في الاحتفاظ بها كلها".

-موقف فرنسا من رجال الدين والمستخدمين في المؤسسات الإسلامية فقد حرصت على أن يكون هؤلاء المستخدمين يعينون من طرف الإدارة حتى تسهل مراقبتهم، ولا تتكفل الإدارة الا

1-نفسه،ص 545.

2-نفسه،ص 464

بالمستخدمين الذين يعملون في المساجد الرسمية وقد بررت ذلك بمحدودية الموارد التي تقدمها المؤسسات الخيرة¹.

- ووضح اجيرون انه بعد صدور المرسومين 27 أكتوبر 1858 و 18 اوت 1868م صارت نفقات الديانة الإسلامية من خصوصيات الميزانيات الإقليمية ومرتبطة بمداخيل أملاك الحبس التي تسيرها مصلحة أملاك الدولة أو الهياكل العسكرية .

- كما عملت الدولة على تقليص ومصادرة اوقاف تلك المؤسسات الدينية لصالح المستوطنين اما في المدن فقد تم الاستيلاء على بعض البنايات لمصلحة الطرقات أو تهيئة الساحات العمومية.²

*مصاريف الهيكل الإداري للمؤسسات الإسلامية:

وضح اجيرون رغم ما ادعته الدولة من اهتمام بالمؤسسات الإسلامية في الجزائر وموظفيها لكن ما هو واقع غير ذلك فالمبالغ الذي خصت للديانة الإسلامية زهيدة سواء فيما يخص المؤسسات أو الهيكل الإداري فالميزانية الإقليمية خصصت مبلغ قدره 118.560 فرنك (عمال وعتاد) وكانت ميزانية الدولة من جهتها تدفع 68.000 فرنك لنفس الغرض³.

*سياسة فرنسا على الممارسات الدينية الإسلامية:

- حرصت فرنسا على التدخل في كل المناسبات الدينية التي تقام خارج المساجد، حيث كان لزاما الحصول على رخصة مسبقة لاحياء الحفلات الدينية أو أداء الزيارات خاصة اذا كانت لجمع الصدقات أو (الزيارة) التي يلتبسها المرابطون أو شيوخ الطريقة⁴. ويوضح ان تلك المكاتب كانت تسلم بشكل عادي من طرف المكاتب العربية وقد علق أنها لم تكون نيتها مراقبة المصادر المالية التي يتمتع بها الإسلام الجزائري، بل كان الهدف هو إرادة كسر شوكة الجزائريين كما أكد ان

1- نفسه، ص 546

2- نفسه، ص 547.

3- نفسه، ص 547

4- نفسه ص 548

المستوطنين هم من خلقوا جدل سياسي لاعتقادهم أن شعائر الحج التي لم تكن تؤدي على "حساب خزانة الدولة" لاعتقادهم أن فكرة منح الحكومة "سفرات الحج" مجانية رسخت في أدهانهم بصفة دائمة في الجزائر وحتى فرنسا، غير أن فرنسا كانت تشترط على الحجيج أن يمتلكوا المصادر المالية الكافية للسفر الى الحج "ذهابا وإيابا" والهدف هو اجتناب حالات وقوع الحاج في عطل يفرض ارجاعه الى أرض الوطن على حساب الخزانة، كما ان الهدف من الرقابة هو التعرف على عدد المسافرين، كما أكد أن سلطات الدولة كانت ترى في الحج انه يحوله الى "شخص متعصب وعنيد"¹.

وضح اجرون كذلك أن المدارس القرآنية كانت أكثر عرضة للحرب المعلنة عنها وذلك قبل 1870، غير ان اعتقاد المستوطنين بان الدولة تشجع وتنفق على تلك المدارس القرآنية فهو أمر خاطئ، كما وضح ان وظيفة المعلم القرآني صارت منذ 1852 مهمة مسموح بها بترخيص اداري وبتزكية المسلمين في سلم الإدارة الفرنسية، ظف الى ذلك فالطلبة الذين كانوا يأتون من خارج الجزائر قل عددهم بسبب الحصار المفروض، ويعلل اجيرون ذلك بأن الهدف من هذه السياسة هو لكي يقبل الجزائريون على المدارس الفرنسية وقد خلس اجيرون أن هذه الأوضاع والسياسة المتمثلة في تعيين علماء وموظفين مأجورين ومراقبين من طرف الدولة الفرنسية

-حجز أملاك الحبوس وحصار الاحتفالات الدينية والحج، ترخيص المدارس وكل هذا بعد معاهدة الاستسلام التي تشجع حرية الممارسة الدينية، وهذا جعل الجزائريون يبحثون عن الطمأنينة لدى الطرق الصوفية هذه الأخيرة التي نظر اليها الاروبيون المعاصرون انها جماعات سرية ذات مارب سياسية، حيث صرح أن لطرق الدينية دور كبير في التعبئة ضد الوجود الفرنسي وان هذه الهوة زادت خاصة بعد 1850م حيث عملت على تعميم هيمنتها خاصة درقاوة والرحمانية وبذلك ساءت العلاقة بين الزوايا والسلطة العسكرية ويرى أجيرون أن الفكرة القائلة بأن الاخوان "هم الحاجز الأكبر الذي حال دون انصهار الجنسين" شاعت في الكتابات الرسمية وفي كتابات الضباط الذين تعاطفو

1- نفسه، ص 548

مع العرب وهو يرى أن هذا التعميم مبالغ فيه إذ لا يمكن اعتبار كل الطلوق اوكار للثورة غير ان ثورة 1871 التي كانت بزعامة الطريقة الرحمانية والشيخ الحداد أكدت مخاوف السلطات الاستعمارية وزادت من تحاملها على الطرق الصوفية¹.

* سياسة التنصير على يد لافيغري والاميرال دو جيدو (DE GUEYDON) تمثلت سياسة هذا الأخير الذي كان منتصرا للكنيسة بتشديد الرقابة الشديدة على المرابطين وسحب الرخص كما قرر حظر الزيارات التقليدية وفي عام 1873 رفض تسهيل شروط الحج وارجاعها الى أسباب سياسية نوعد عمل هذا الأخير على مساندة سياسة تنصير المسلمين حيث صرح "لقد أمضيت حياتي في حماية البعثات الكاثوليكية في كل بحار العالم ولن أرضى بأن اراها مقهورة فوق هذه الأرض الفرنسية ..."

حيث كان يسميه المستوطنون الاميرال الكاردينال وقد سمح للافيجربيانجازه المخصص لأيتام الأهالي ومهمته التبشيرية حيث بدأت من 1867-1868م في عام المجاعة وتمكن من جمع الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين 8 الى 14 سنة وبعد مدة شرعت عائلاتهم في البحث عنهم لانتشار اشاعات تنصيرهم وأمام تردد الكنيسة في اتخاذ قرار رفع النواب المسلمين الامر الى فرنسا لكن الحاكم العام لم يشأ مضايقة وشل جهود لافيغري ورفض اقحام الإدارة فلجأ الى العدالة لكن لم يجدي الامر نفعا ولم يعد الا 100 ولد ومات منهم 600 وفي سنة 1871 لم يبقى سوى 378 طفل و342 بنت وزعوا بين فرنسا و MAISON CARRÉE في الحراش أو في قريتين العطاف (saint cyrprien) والقديسة (saint monique) وأكد انه حصل على مبالغ كبيرة لتدعيم مشروعه التحضيري غير أن المستوطنين المعادون للنظام الكنسي كانوا ضد المبالغ المخصصة لمنجزات الاسقف وصوتوا ضدها في البرلمان غير أنه استمر في عمله وكان مصلحرا بسياسته التنصيرية حيث أنشأ المدارس أرسل بعض الأهالي الى البيوت الدينية بمرسيليا ليتعلموا بعض المهن، أنشأ مدرسة اكليركية خاصة بأولاد المسلمين في saint laurent dost في منطقة

1- نفسه، ص 549-552

جبال البرانس، كما أشرف الإباء البيض الذين ارتدوا الزي الأهلي على تكوين العرب المبتدئين في مسائل الرهينة بالحراش.

كما احتضنت كلية دراسة اللاهوت الخاصة بالمتديينات المبشرات عددا من المترشحات العربيات الشبابات.

كما أكد أن أكثر جهود التبشير انصبت في القبائل لقول لافيغري "ان القبائل الدين جاءوا من أصول مسيحية لا يضمرون الجفاء لرجال الدين المسيحيين" فأنشأت سنة 1873 مركز تبشيري لدى ايت عيسى في تا جمونت ثم وتاوريرت و ابركانن وكذا بنى اليسوعيين اثنان في ايت فراوسن وايت يني¹. وقد ركزوا في دعواهم الاشعاع والرافة ومنعوا من التحدث عن الثالوث والعقائد المسيحية.

أما في الجزء الثاني من كتابه "الجزائريون المسلمون وفرنسا": وضح اجيرون أنه في نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م وبعد 1871م تغيرت الأوضاع حيث وبعد عجزهم عن وضع اكليروس إسلامي فقد أسسوا هيكله من موظفوا الشؤون الدينية لا توجد على رأسها قيادة معينة ولا تتمتع بالاستقلال في العمل حيث وضح أنه سنة 1900م أصبح الاكليركوس الإسلامي يتكون من 149امام مرتبطين بمؤسسة دينية مصنفة ضمن المؤسسات العامة تتمثل مهمتهم في امامة الناس في الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ماعدا الخطبة . ويصنف منهم مجموعة الى مرتبة مفتي وأجرهم أعلى من اجرة الامام العادي بعدهم يصنف المدرسون وهؤلاء يكلفون بتدريس العلوم القرآنية في المساجد من بينهم فئة الحزابة مقرأوا القران والمؤذنون وأجورهم زهيدة؛ إضافة للقيمين على المساجد. ومنه نلاحظ ان فرنسا استمرت في تضيق الخناق على الدين الإسلامي وفصل الدين عن الدولة فلم يتغير شيء ماعدا بناء بعض المساجد وتقليص أجور المفتين كما أن مصالح الإدارة

1-نفسه، ص ص 559

قررت الالتزام بحرفية القانون وعدم تخصيص أي مبلغ مالي يتعلق بشؤون الإسلامية ولا بتشديد أو صيانة المباني .

- كما تقرر انشاء جمعيات دينية إسلامية أو جمعيات "الفرانكو-إسلامية" وقد تأسست هذه الأخيرة سنة هذه الأخيرة سنة 1908 أولها جمعية تلمسان بتاريخ 7 نوفمبر 1908 ثم جمعية الجزائر تسير من قبل مجلس الإدارة ورئيس ينتخبون لمدة 3 سنوات ، وكذلك مدينة مستغانم وكان لهذه الجمعيات حق عرض أسماء القائمين بالشعائر لموافقة الحاكم العام مع وجوب التكفل بالمصاريف وبالتالي وضع بين ايدي الجمعية الدينية الإسلامية مساجد المدينة والعمالة وأضرحة المرابطين هكذا وضع حد للامال الساذجة التي جعلت المسلمين يعتقدون بين سنتي 1907 و1909م وأنه بإمكانهم استعادة الأملاك المصادرة كما أكد أن نظام الإسلام الفريد من نوعه في العالم والذي صنعناه بايدينا في الجزائر حسب تعبير chatelier لم يحظ بأية سمعة تذكر¹

- كما ان سلطة المرابطين تراجعت بشكل محسوس منذ انهيار مقاومتهم "ان نفوذ الزوايا صار في تناقص بسبب اتصالها بالسلطة الفرنسية"² وقد أشار اجيرون الى سياسة الحاكم العام غانزي chanzy : لقد عمل هذا الأخير على خطى سلفه لكنه وضع احترامه لدين الإسلامي والمناسبات الدينية وكذلك تقديره لكبار المفتين كزيارته لمساجد الحنفية والمالكية في مدينة الجزائر بمناسبة العيد الصغير ، حتى يؤكد بممارسة الحرية الدينية وان الإدارة لا تتدخل الا في تسليم الرخص أو اختيار المستخدمين وكثيرا ما كانت توضع شروط لتسليم الرخص كعدم جمع الاعطيات ، الزيارة، وعدم اطلاق البارود.

- بالنسبة لتعليم القران ضيقت الخناق خاصة بعد 1870 ، تمنح رخص مؤقتة تأدللدراري "المعلمي القران" بعد تحقيقات صارمة كما أنه لا يسمح بها حيث تتواجد المدارس الفرنسية .

1- نفسه، ج 2، ص 487

2- نفسه ، ج 2، ص 491

-أيضا رقابة على شيوخ الزوايا حيث كان محظورا على شيوخ الزوايا التنقل أو جمع الصدقات أو الاعطيات (الزيارة) من الاعيان وبالتالي صعب عليهم الحصول على الرخص كما أعفيت بعض الزوايا من الضرائب ففي سنة 1878 أكد chanzy أمام المجلس الأعلى أن مرابط تيماسين وهو شيخ الطريقة التيجانية قد تقرر اعفؤه دون غيره من دفع الضريبة لان نفوده يخدم قضيتنا كذلك شيخ الطريقة الطيبية لشريف الوزان اضافة الى تشديد الخناق على رخصة الحج¹ .

كما تحدث عن السياسة الدينية خلال السنوات الأولى لنظام المدني (1878-1891 م) وقد أكد اجيرون أنه تزامن تدهور الأوضاع الدينية الإسلامية مع توسع النظام المدني وازياد الضغط من طرف النواب .

-المطالبة بغلق الزوايا باعتبارها أوكار للتعصب لاعتقادهم أنها وراء انتفاضة الاوراس سنة 1879م كتوقيف الشيخ طيكوك شيخ الطريقة السنوسية.

-فرضت رقابة صارمة على تنقل الوافدين الأجانب الدين كانوا يأتون لتحسيس القبائل الجزائرية بالصحة الإسلامية .

-غلق العديد من مدارس الزوايا كما فرضوا على مدارس الزوايا المرخص لها بالتدريس ان لا تفتح أبوابها للتلاميذ خلال أوقات الدراسة الرسمية في المدارس الابتدائية الفرنسية.

-تقليص عدد الحجيج الى مكة وبكيفية تمكن من اجتناب انخراط الحجيج في الطرق الدينية التي تجهر بعداوتها لهيمنتها" متضرعين بانتشار وباء 1881 لكن السبب الحقيقي وراء كل هذه الإجراءات هي ثورة بوعمامة².

وقد خلص اجيرون ان العملية الوحيدة التي توصل اليها أهل التفكير بالنسبة لسياسة الدينية في الجزائر هي ضرورة الاعتماد على علماء الدين الرسميين ويتشاطر معه هذه النقطة كل من josphe

1- نفسه، ج2، ص 561

2- نفسه، ج2، ص 567.

rinn و chatelier وكذلك الإدارة العسكرية لشؤون الأهالي لكن النواب كانوا معارضين للفكرة.

- كما وضع الأجور الزهيدة المخصصة للاممة ولصيانة المساجد والتي يتضح من خلالها عدم المساواة في المعاملة بين الديانات ما دامت الميزانية تقدر للمسلم 7 مرات أقل مما تقدره لليهودي و22 مرة أقل من الكاثوليك.

- تضيق الخناق على الحجاج ففي عهد الحاكم العام tirman حاول منع أصفار الحج نهائياً¹، ففي 1886-1881 تقرر حظر الذهاب للحج لتبريرات انتشار الأوبئة أو توتر العلاقات الدولية لكن لم تصدر القرارات بصفة رسمية وإنما كانت تقدم توجيهات للإداريين للعمل على دفع الأهالي ليقروا التخلي عن الحج والرخص لا تسلم الا لشخصيات معينة والسبب هو تخوف الإدارة من المشاعر التي يحركها الحج دوماً في النفوس².

والهدف من هذه السياسة هو ادلال وتدمير الإسلام أو إحلال اللائكية في العقول حسب ما صرح به اجيرون .

خاتمة :

مند أن وطأت السلطات الاستعمارية الجزائر وهي تعمل على تنفيذ سياستها في استعمار الجزائر أرضاً وشعباً وذلك من خلال طمس هوية المجتمع الجزائري المتمثلة في الدين واللغة والتاريخ، فقد حاربت فرنسا الدين الإسلامي مند بداية الاحتلال، وهي لم تسمح إلا للاكليروس الرسمي بممارسته في المساجد خدمتاً لمصالحهم، حيث طبقت سياسة دينية صارمة حاولت من خلالها تضيق الخناق على الدين الرسمي للجزائريين باعتباره الخطر الأكبر الذي يهدد وجودها وذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات

1- نفسه، ج2، ص577

2- نفسه، ج2، ص579

ورغم ما حققه الفرنسيين بإصدارهم لمختلف القوانين والقرارات والتي كان لها تأثير على الجزائر حيث شهدت المنظومة الأخلاقية والدينية تأثيرات انعكست على المفاهيم والسلم القيمية والمعايير التي حكمت العلاقات الاجتماعية للمجتمع الجزائري، ورغم محاولة فرنسا دمج الجزائريين من خلال إنشائها لمختلف المؤسسات التعليمية كما سبق وأشرنا* إلا أنه وحسب قول ساطع الحصري «... لم تثمر من الثمرات الإيجابية ما يستحق الذكر ولم تنتج نتائج فعلية سوى تنفير الناس منهم، وإبعادهم عن المعاهد الفرنسية بوجه عام، لأن الناس صاروا ينظرون إلى جميع تلك المؤسسات كفخاخ للتنصير»¹، كما أن إدارة الاحتلال سواء في مرحلة الحكم العسكري أو المدني حاولت فرض البديل الثقافي بالقوة لذلك بقيت تلك المؤسسات خالية، وكان الحائل الأكبر لتطبيق سياسة الفرنسة هو الاختلاف في العقيدة الدينية، والاختلاف الثقافي والحضاري، الذي جعل من المجتمع الفرنسي والمجتمع الجزائري نقيضين حقيقيين لا يتفقان في أي شيء، وعلى حد قول تورني (Tournier) إن القرآن والإنجيل لا يمثلان مجرد ديانتين متناقضتين بل يمثلان حضارتين متعارضتين، وأضاف أن الشعب المنهزم دوما يحن إلى حريته، وأن إدماجه لا يكون إلا بسلطة القوة.

*- حيث يقول دوطوكفيل أن المجتمع الاسلامي في افريقيا لم يكن متحضر، بل كان ذا حضارة فقط متأخرة حيث كان يوجد عدد كبير من المؤسسات الخيرية،... وقد وضعنا ايدينا على كل مكان على عائداتها... لقد انقصنا عدد المؤسسات الخيرية وتخليينا عن المدارس وفرقنا حلقات الدروس وانطلقت الانوار من حولنا وتوقف توظيف رجال الدين ورجال القضاء، بمعنى اننا أرجعنا المجتمع الاسلامي أكثر بؤسا وأكثر فوضى، أكثر جهلا وأكثر بربرية مما كان عليه قبل أن يعرفنا. الكسيدوطوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة وتقديم ابراهيم صحراوي، ص 126.

1- ساطع الحصري، حوليات الثقافة العربية، ص 473.

